كوب شاي

شيماء الجريدي

ما أقسى ـ أن يجبر الإنسـان على وأد أحلامه بنفسـه كيف يمكنه أن يقتل أمنياته وأحلامه بيديه فقط إرضـاء للأخرين، كم من أحلام مضـينا عمرا كاملا في محاولة تحقيقها ويأتي القدر ليحرمنا منها دون شـفقة أو رحمة، كيف يمكن أن نحلم بالعيش مع أحدهم لنسـتفيق في الصـباح ونجد أننا أصـبحنا مع شـخص أخر بل والأسـوأ أننا مجبرون على العيش معه، بل وأن نمضي ـ عمرنا نتظاهر بالحب والامتنان لتلك العلاقة المزيفة، كانت تلك الأفكار تتخبط داخل عقل هيام.

امرأة في منتصـف العقد الرابع من عمرها، مازالت تحمل بعضـا من ملامحها الجميلة حيث طمس الحزن أغلبها، جسـدا ممشـوقا لم تتمكن منه يد الزمن بعد. وقفت في مطبخ منزلها تعد كوبا من الشاي لزوجها وقد تصارعت الذكريات المؤلمة على تجديد جراحها التي رغم كل تلك الأعوام لم تندمل ولم تكف عن الآنين بداخلها، فهي من وجهة نظر الجميع تعيش حياة مثالية، فلديها زوجا ناجحا يعمل بوظيفة مرموقة يوفر لها كل احتياجاتها من ملابس وحلى ويوفر لها حياة رغدة مرفهة، حيث تقيم في منزل فخم مجهز على أحدث طراز، و لديها ثلاث أبناء متفوقون وعلى قدر عال من التهذيب والتميز، ربما هم مخطئون في الجزء الخاص بزوجها وحياتها المرفهة فهي كلها أشـياء مادية يمكن الاسـتغناء عنها، لم تشـعرها يوما بالسـعادة، كانت تود أن تتنازل عن هذا كله في مقابل استعادة حبها الموؤد.

هشـام مازالت تتذكر ملامحه الوسـيمة جسـده المتناسـق فارع الطول، كم كانت تبدو ضئيلة ومضحكة بالمقارنة به، كم تشتاق إلى

لمسة يده، أصابعه القوية وهي تحتضن كفها الرقيق، ابتسامته الساحرة، أحاديثه الشيقة، كم كان مثقفا ومتحدثا لبقا، لم تكن تمل منه أبدا بل كانت تتمنى أن تقضي معه كل ما تبقى من سنوات عمرها، كم حلما معا بمنزل صغير بسيط يجمعهما كيف سيبدو أطفالهما ماذا ستكون أسمائهم، أين سيقضون عطلتهم، لم يتركوا شيئا لم يفكرا به، خططا لكل شيء ماعدا شيئا واحدا، موقف والديها. زفرة حارة كادت أن تحرق صدرها وهى تتذكر كيف انتهى كل شيء، صور سريعة من ذكريات مؤلمة تومض أمام عينيها، فها هو هشام قد حضر إلى منزلها طالبا يدها للزواج، رفض والدها الغير مبرر، توسلاتها إلى والدتها أن تحاول التأثير على والدها حتى يعدل عن قراره الظالم بكائها، حزنها، سهرها ليال طويلة وهى تفكر في حبها الضائع.

قراره المفاجئ بالهروب والسفر خارج البلاد بعدما يأس من تغير موقف والدها تركها وحيدة، كم تمنت لو كان لديها الشجاعة الكافية حتى تستمع إليه وتهرب معه كما طلب منها، كم آلمها اتهامه لها بأنها تخلت عن حبهما. شهور طويلة مضت على فراقه لم تدع طريقا يمكن أن يوصلها إليه إلا وسلكته بحثا عنه، انحدرت دمعة ساخنة على وجنتها وهى تتذكر يوم تقدم زوجها لخطبتها، كم تألمت وهى ترى نفسها تزف إلى رجل أخر، كم تمنت لو كانت تملك قرارها لكانت حرمت جسدها على أي رجل سواه، تذكرت نحيبها وتوسلاتها لهم لكى لا تتزوج من هذا الغريب، هي لا تعرف عنه شيئا سوى أنه يعمل مهندسا بإحدى الشركات ولديه مستقبل باهر وهو الزوج المناسب لها، انصاعت لقرارهم الظالم كعادتها، تنهدت من

جديد وعادت إليها ومضـات ذكرياتها أمام عينيها تمضى ـ مسرـعة لتجد نفسـها أصـبحت سـجينة وليسـت زوجة لرجل قاس ذو طباع نرجسـية عنيفة، فقد كان يتلذذ بالحط من شـأنها كلما واتته الفرصة لم تكن مكانتها ترقى إلى أكثر من خادمة لديه، أخذت ذكريات ضربه لها وتطاوله وصراخه عليها تعدو سريعا أمام عينيها، تذكرت ميلاد أول طفل لها وكأن القدر يحاول أن يعوضـــها بهذا الكائن الجميل وتوالت هدايا القدر للتخفيف عنها فأنجبت طفلها الثاني ثم الثالث وقررت أن تسـتسـلم كما اسـتسـلمن آلاف النسـاء قبلها من مجتمعنا الظـالم، قررت أن تعيش في هـذا الهوان فقط لتكون قريبـة من أطفـالها الـذين جعلهم الله بـارين بها ليعوضـــوها عن كل الحب والاهتمام التي لطالما افتقدته بعد خروج هشـــام من حياتها، يا الله كم افتقدته لا تصـدق أنها مازالت ترتعش عندما تذكر اسـمه تماما كما كان يحدث لها ســابقا فهي مازالت تعشــقه، تذكرت تلك المرة عندما تقابلت مع تلك الصـديقة القديمة صـدفة وأخبرتها بعودته إلى أرض الوطن منذ عدة أشـــهر، لا تدرى لما شـــعرت بســـعادة تغمرها، فقد أصـــبح هناك أمل الأن بعد عشرـــون عاما كاملة من الفراق والألم أن تراه مرة أخرى، طوال طريق عودتها إلى منزلها كانت تتلفت حولها علها تقابل وجهه الوســـيم بين الوجوه، ترى كيف صارت ملامحه الأن؟ هل تبدلت أم زاد وسامة؟ كم افتقدت صوته لمسـة يديه ابتسـامته، لا تدرى من أين أتتها الشـجاعة لتجد نفسـها أمام منزله، ظلت واقفة هناك على مقربة منه لم تنفعها شـــجاعتها بأكثر من ذلك، لتعود من جديد لانتظار الفرصـة وقفت طويلا حتى كادت تفقد الأمل وبينما كانت تسـتعد للمغادرة لفت نظرها سـيارة

فارهة أتت لتصـطف أما المنزل ليهبط منها رجل وسـيم ذو ملامح حادة يغزو الشـيب فوديه فزاده هيبة ووقار وامرأة فاتنة الجمال رغم تقدمها في العمر و طفل رائع اسـتولى على ملامح أبيه كاملة وفتاة جميلة امتزجت ملامحها بين أبيها وأمها، شـعرت بغصـة في حلقها ومادت الأرض تحت قدميها وقررت الرحيل فلا فائدة الأن من الانتظار كيف نسـيت أنه قد مر وقتا طويلا ولابد أنه قد أصـبح لديه أسرة هو أيضـا، تذكرت أيضـا أنها عادت الي منزلها ذلك اليوم لتجد طفلها الصـغير يركض إليها ويرتمي بأحضـانها وهو يزف إليها خبر نجاحه في المدرسـة وكأن الله أراد أن يخبرها أن أبنائها أهم من تلك الأفكار المراهقة التي تجول برأسـها، نسـيت هشـام وأسرته المثالية وتذكرت فقط أبنائها، نسـيت نفسـها كامرأة كما تعودت أن تفعل منذ أن أنجبت أول أطفالها وتذكرت فقط أنها أم لا يوجد في الحياة أجمل ولا أعذب من كلمة أمي ففيها كل الحب والتعويض عن كل ما خسرته من سنوات عمر ضائعة في زيجة فاشلة وزوج قاس، نسيت حتى أنها كانت تعد كوبا من الشاي لزوجها ولم تنتبه إلا على صوته الهادر والذي أفزعها وهو يصرخ بها مرددا أنها زوجة فاشلة لا تصـلح لشيء فقد تأخر عن عمله وهي حتى لم تعد له كوبا من الشـاي كما تعود أن يفعل كل يوم، تجمدت مكانها في المطبخ من الخوف وهي تسـمعه من الخارج يهددها ويتوعدها بعقاب شـديد على إهمالها وتقاعسها عن أداء واجبها كزوجة لرجل مثله، انتفضت مذعورة عندما صـفق باب المنزل خلفه بقوة وهو مغادر، عادت دموعها تسيل من جديد وهي تتحسر علي حالها ولكن كان هناك من يكفكف دمعها دون أن تنتبه، فقد التف أبنائها الثلاثة حولها

وأخبرها الأكبر أنه لن يســـمح لوالده أن يؤذيها بعد اليوم، فجأة شعرت بأنها أوفر النساء حظا على الأرض وأنها لديها بدلا من حبيب ضائع ثلاث أحباء، نظرت إليهم وابتسامة فخر ورضا تعلو شفتيها واقترحت أن تعد لهم كوبا من الشاي وبعض الشطائر اللذيذة .

تمت بحمد الله